وقائع المؤتمر الدولي الرابع (التعليم العالي وقضايا المجتمع المعاصر)٦-٧/٥/٢٠٢٦
Kirkuk University Journal: Humanity Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية
ISSN P: 1992-1179
ISSN E: 3107-3360

The Daʿwah Methodology in Sūrat Nūḥ: An Analytical Intellectual Study

Prof. Dr. Thamer Hasan Sabr [1] Asst. Lect. Israa Muwaffaq Latif [2]
1. University of Kirkuk, College of Education for Human Sciences, Department of Qur'anic Sciences dr.thamer@uokirkuk.edu.iq
2. Ministry of Education, Kirkuk Directorate of Education, Kirkuk Governorate, Iraq
asramwafqalzaidy@gmail.com

Abstract: God Almighty has related the accounts of certain prophets—peace be upon them—concerning their departure from their homelands or their migration. Among these is what He has revealed about Noah, peace be upon him, whose story we are undertaking to analyze. He remained among his people calling them for a thousand years less fifty, yet they persisted in rejecting his call and disbelieving in the message he brought, until the command of God came to construct the Ark. He, the Most High, said: "And construct the ship under Our observation and Our inspiration, and do not address Me concerning those who have wronged; indeed, they are to be drowned" (Hūd 11:37). Then Noah, peace be upon him, and the believers with him boarded it when the sign signifying the command to embark appeared. He, the Most High, said: "Until, when Our command came and the oven overflowed, We said, 'Load aboard it of every kind two mates and your family—except those against whom the decree has already gone forth—and whoever has believed.' But none had believed with him, except a few" (Hūd 11:40).

All of this exemplifies the perfection of God's justice: that He does not punish a nation until He has sent them a messenger from among themselves, supported by miracles and signs from Him, to stand as a proof against them. For one to benefit and increase in understanding, he must contemplate the stories of the prophets mentioned in the Noble Qur'an, reflect deeply upon them, and analyze them in order to derive substantial lessons. It is for this reason that I have chosen for my research the topic "The Da'wah Methodology in Sūrat Nūḥ: An Analytical Intellectual Study," taking it as a point of departure from the Father of the Prophets, peace be upon him, to delve into his biography and narrative, the burdens of da'wah he shouldered, and the immense effort and patience he exerted until he became the first of the Messengers of Strong Will (Ulū al-ʿAzm).

Keywords: Noah (Nūḥ), Daʿwah Methodology, Sūrat Nūḥ, Analytical Study, Prophetic Migration, Divine Justice, Patience, Ulū al-ʿAzm, Qur'anic Narratives.

المنهج الدعوي في سورة نوح – دراسة تحليلية فكرية–

أ.د.ثامر حسن صبر [١] م.م.إسراء موفق لطيف [٢]
جامعة كركوك-كلية التربية للعلوم الإنسانية [١] مديرية تربية كركوك [٢]

لقد أخبر الله تعالى عن بعض أنبياءه (عليهم السلام) في شأن خروجهم من ديارهم أو هجرتهم منها, ومن ذلك ما أخبر به تعالى عن نوح عليه السلام – والذي نحن بصدد تحليل قصته– عندما لبث في قومه يدعوهم الف سنة إلا خمسين عاماً, وقومه يرفضون دعوته ويكفرون بما جاء به إلى أن جاء أمر الله بأن يقوم ببناء السفينة، وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ هود: ٣٧

ثم ركبها عليه السلام هو ومن معه من المؤمنين عندما ظهرت علامة الأمر بركوبها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ هود: ٤٠

وهذا كله من كمال عدل الله أن لا يعذب أمة من الأمم حتى يبعث إليها رسولاً من عندها, مؤيداً بمعجزات وعلامات منه سبحانه ليكون حجة عليهم, ولأجل الفائدة والاستزادة على المرء أن يتأمل قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم ويمعن النظر فيها ويحللها تحليلاً ليخرج بفائدة كبيرة, ومن أجل ذلك اخترت في بحثي هذا (المنهج الدعوي في سورة نوح دراسة تحليلية فكرية) لتكون منطلقاً من أبو الأنبياء عليه السلام للتمعن في سيرته وقصته وما واجهه من أعباء الدعوة وما بذله من جهد وصبر حتى كان أول أولي العزم من الرسل.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الأرض قرارا, وأجرى على ظهرها بحاراً وأنهارا, له الحمد على أن ارسل رسلاً يدعون الى عبادته سراً وجهارا, والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي دعا ربه ليلاً ونهارا, وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم وسار على نهجهم عبيداً وأحرارا.

وبعد..

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق, واصطفى من خلقه الأنسان ليكون خليفة له على الأرض من لدن آدم (عليه السلام) إلى قيام الساعة, وقد كرم الأنسان أفضل تكريم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [(١)], ومن هذا التكريم أنه أرسل رسلاً يدعون إلى دينه, ويرشدون إلى طريقه المستقيم ويسعون إلى خير البشرية ((رُسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ))[(٢)] وقد زخرت قصص الأنبياء (عليهم السلام) وسِيَر دعوتهم إلى الله تعالى بالكثير من المواقف التي تدعوا إلى النظر والتأمل كما وردت في القرآن الكريم, لأنها تتحدث عن أقوام وصلت إليهم دعوة الله وظهر فيهم

اختلاف النفس البشرية في كيفية تعاطيها لِما جاءت به الرسل وكيف كان تعامل انبياء الله تعالى مع ذلك.

ودعوات الأنبياء عليهم السلام كانت تمر بمراحل وتنتقل في أطوار وذلك كله بوحي من الله سبحانه وتعالى وأمر منه. فقد يأذن جل وعلا لرسله بالخروج بالدعوة من الأرض التي رفضت فيها وتعرّض المؤمنون فيها للأذى إلى أن ينتقلوا إلى أرض جديدة تأخذ الدعوة فيها مساراً جديداً ببناء مجتمع مؤمن تقام فيه شعائر الله وتنفذ فيها حدوده وأحكامه.

وقد أخبر الله تعالى عن بعض أنبياءه (عليهم السلام) في شأن خروجهم من ديارهم أو هجرتهم منها, ومن ذلك ما أخبر به تعالى عن نوح عليه السلام – والذي نحن بصدد تحليل قصته– عندما لبث في قومه يدعوهم الف سنة إلا خمسين عاماً, وقومه يرفضون دعوته ويكفرون بما جاء به إلى أن جاء أمر الله بأن يقوم ببناء السفينة قال تعالى: ((وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ))[٣] ثم ركبها عليه السلام هو ومن معه من المؤمنين عندما ظهرت علامة الأمر بركوبها قال تعالى: ((حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ))[٤]

وهذا كله من كمال عدل الله أن لا يعذب أمة من الأمم حتى يبعث إليها رسولاً من عندها, مؤيداً بمعجزات وعلامات منه سبحانه ليكون حجة عليهم, ولأجل الفائدة والاستزادة على المرء أن يتأمل قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم ويمعن النظر فيها ويحللها تحليلاً ليخرج بفائدة كبيرة, ومن أجل ذلك اخترت في بحثي هذا (المنهج الدعوي في سورة نوح دراسة تحليلية فكرية) لتكون منطلقاً من أبو الأنبياء عليه السلام للتمعن في سيرته وقصته وما واجهه من أعباء الدعوة وما بذله من جهد وصبر حتى كان أول أولي العزم من الرسل, فأقول مستعيناً بالله:

- من أسباب اختياري للموضوع

١- الحاجة الماسة الى معرفة المنهج الصحيح الذي سار عليه الأنبياء في الدعوة الى الله سبحانه وتعالى

٢- أن الأنسان يحتاج الى معرفة قصص الأنبياء لأخذ العبرة والعظة منها ((وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ).

٣- توضيح معنى الدعوة والمنهج للناس وخاصة الدعاة منهم.

- أما منهجي في البحث

١) عزو الآيات القرآنية إلى سورها في القرآن الكريم.

٢) نقل الآيات والشواهد القرآنية بالرسم العثماني.

٣) تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية.

٤) الترجمة لكل علم من الأعلام الذين يمر ذكرهم في البحث.

٥) الاعتماد على عزو كل قول ونص لمصدره الأصلي.

٦) الاستعانة بالكتب الحديثة لفهم بعض العبارات غير الواضحة.

- **خطة البحث**

أولاً: المقدمة: وتحوي على سبب اختياري للموضوع و منهجي في البحث:

ثانياً: المبحث الأول: مفهوم المنهج الدعوي. وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: مفهوم الداعية.

المطلب الرابع: مفهوم المنهج الدعوي.

ثالثاً: المبحث الثاني: التعريف بسورة نوح. وفيه:

أولًا: سورة نوح.

ثانيًا: بين يدي السورة.

ثالثًا: نوح عليه السلام.

رابعاً: المبحث الثالث: منهج الأنبياء الدعوي. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التوحيد.

المطلب الثاني: الايمان بيوم القيامة.

خامساً: المبحث الرابع: المنهج الدعوي في سورة نوح. وفيه مطالب:

المطلب الأول: الإنذار.

المطلب الثاني: الصبر في الدعوة.

المطلب الثالث: التنوع في الأساليب.

المطلب الرابع: التفكر.

المطلب الخامس: الدعاء.

سادساً: الخاتمة والفهارس.

المبحث الأول

مفهوم المنهج الدعوي

المطلب الأول: تعريف المنهج

- المنهج (لغة)

مأخوذ من مادة (نَهَجَ) والنهج: الطريق البين الواضح, ونهج لي الأمر: اوضحه, وفلان نهج سبيل فلان: سلك مسلكه, والجمع: نُهُجٌ, ومناهج.

وعلى هذا: فالمنهج في اللغة يعني: الطريق الواضح, ونهج وأنهج: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً[٥]

وجاء في المعجم الوسيط: المنهج والمنهاج: الطريق الواضح وفي التنزيل (لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)[٦] والخطة المرسومة ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما[٧]

- المنهج (اصطلاحاً)

عرف المنهج في علم الدعوة بأنه: الخطة أو التخطيط اللازم لشيء ما[٨]

أو هو الطريق المؤدي الى التعرف على الحقيقة في العلوم, بواسطة طائفة من القواعد العلمية العامة, والتي يسلكها العقل في حركته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[٩]

المطلب الثاني: معنى الدعوة

- الدعوة (لغة)

دَعَا بالشَّيْء:...طلب إِحْضَاره يُقَال دَعَا بِالْكتاب وَالشَّيْء إِلَى كَذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ...وَيُقَال دَعَا الْمَيِّت نَدبه ...وَيُقَال دَعَا الله رجا مِنْهُ الْخَيْر...ودعا على فلَان طلب لَهُ الشَّرّ...ويُقَال دَعَاهُ إِلَى الْقِتَال وَدعَاهُ إِلَى الصَّلَاة وَدعَاهُ إِلَى الدّين وَإِلَى الْمَذْهَب حثه على اعْتِقَاده وَسَاقه إِلَيْهِ[١٠]. ودعوت فلاناً وبفلان: ناديته وصحت به, أي ناديته بصوت مرتفع[١١].

- الدعوة (اصطلاحاً)

عُرِّفت بعِدّة تَعريفات، منها ما يلي:

- حَثّ الناس على الخَير والهُدى، والأمْر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ليَفوزوا بسعادة العاجل والآجل[١٢].
- وعرفها الامام الطبري بقوله: هي دعوة الناس الى الإسلام بالقول والعمل[١٣].
- وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) بقوله: الدعوة الى الله هي الدعوة الى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما امروا, وذلك يتضمن الدعوة الى الشهادتين, وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة الى الايمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره, والدعوة الى ان يعبد العبد ربه كأنه يراه"[١٤].

المطلب الثالث: مفهوم الداعية

الداعية هو الذي يدعو إلى دين أو فكرة، قال ابن منظور – رحمه الله –: "والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم: داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – داعي الله تعالى" ...يدعو الأمة إلى توحيد الله وطاعته قال الله عز وجل عن الجن الذين استمعوا القرآن وولوا إلى قومهم منذرين وقالوا لهم[١٥] { يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ }[١٦] وقال الله عز وجل عن النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦}[١٧] وقال النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[١٨] فتبين بذلك أن لفظ الداعية يدخل فيه: الداعية إلى الحق، والداعية إلى الضلالة، وأن دعاة الحق هم الذين يدعون إلى الله على بصيرة، ويقين... وهذه طريقة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ومسلكه وسنته، هو ومن اتبعه قال تعالى –: { قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨}[١٩][٢٠] وحقيقة ذلك أن الداعية: ((هو المسلم المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه))[٢١].

المطلب الرابع: مفهوم المنهج الدعوي.

هو "نُظم الدعوة وخططها المرسومة" ومناهج الدعوة هي خططها, والمناهج الدعوية التي وضعها الدعاة هي اجتهادية, لكنها جاءت بناء على ما ورد في القرآن الكريم والسنة والنبوية وسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكذلك الحال بالنسبة للأساليب والوسائل الدعوية فهي من المتغيرات التي تتفاوت فيها الاجتهادات.

إذن فالمنهج والأسلوب والوسيلة من الأمور الاجتهادية التي وضعها العلماء والدعاة وألفوا فيها كتباً في توضيحها وتقنينها حتى يستفيد منها المسلمون خاصة الدعاة وطلاب العلم, ولذلك قد نجد بعض الاختلاف فيما بينها, فما يراه بعض العلماء منهجاً قد يراه آخرون اسلوباً, وما يعتبره بعضهم اسلوباً قد يطلق عليه آخرون اسم وسيلة, والسبب في ذلك يرجع الى كونها اجتهادية يتم تقنينها وترتيبها وفق اجتهاد واضعها ورؤيته الدعوية, ولكن هذا الاختلاف ليس اختلافاً جوهرياً يحمل التضاد او التعارض إنما هو اختلاف لفظي يفسح مجالاً كبيراً للفهم والتدقيق والنقد.

ومما سبق يمكن القول أن المنهج الدعوي هو: الخطة المنظمة للدعوة الى الله وتشمل الأساليب والوسائل الدعوية التي تتفق مع هذا المنهج[٢٢]

المبحث الثاني

التعريف بسورة نوح

- **اولاً: سورة نوح**

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا

وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)(نوح: ١ – ٢٨

- **ثانياً: بين يدي السورة**

سورة مكية, تعنى بأصول العقيدة وتثبيت قواعد الإيمان, وقد تناولت السورة تفصيلاً لقصة شيخ الأنبياء نوح (عليه السلام) من بدء دعوته حتى نهايته [التي انتهت بـ] حادثة الطوفان التي أغرق الله بها المكذبين من قومه, ولهذا سميت [السورة باسمه] سورة نوح, وفي السورة أيضاً بيان لسنة الله تعالى في الأمم التي انحرفت عن دعوة الله, وبيان لعاقبة المرسلين وعاقبة المجرمين, في شتى العصور والأزمان...ثم ذكرت السورة جهاد نوح عليه السلام وصبره وتضحيته في سبيل تبليغ الدعوة فقد دعا قومه ليلاً ونهارا, سراً وجهاراً, فلم يزدهم ذلك إلا إمعاناً في الضلال والطغيان (فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا) ثم تتابعت السورة تذكرهم بإنعام الله وأفضاله على لسان نوح (عليه السلام) ليجدّوا في طاعة الله, ويروا آثار قدرته ورحمته في هذا الكون الفسيح (أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم ....) الآيات. ومع كل هذا التذكير والإرشاد فقد تمادى قومه في الكفر والضلال واستخفوا بدعوة نبيهم نوح (عليه السلام) حتى أهلكهم الله بالطوفان, بعد أن مكث الف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم الى الله فما لانت قلوبهم ولا انتفعت بالتذكير[٢٣].

- **ثالثاً: نوح عليه السلام**

- اسمه:

هو نوح بن لامك بن متُّوشلخ بن خنوخ – وهو إدريس– بن يرد –وقيل: يرذ– بن هلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم (عليه السلام)[٢٤].

- مولده:

ولد نوح (عليه السلام) بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة، وذلك لألف سنة وست وخمسين سنة مضت من يوم أهبط الله عز وجل آدم إلى مولد نوح (عليه السلام) وعلى ما ذكر في تاريخ أهل الكتاب...يكون بين مولد نوح وموت آدم مائة وست وأربعون سنة، وكان بينهما عشرة قرون، كما قال الحافظ أبو حاتم بن حبان في صحيحه... «أن رجلا قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم. مكلم. قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون». قال ابن كثير: وهذا على شرط مسلم، ولم يخرجه...فإن كان المراد بالقرن مائة سنة، كما هو المتبادر عند كثير من الناس فبينهما ألف سنة لا محالة...وإن كان المراد بالقرن الجيل من الناس، كما في قوله تعالى: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ }[٢٥]. وقوله: { ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ }[٢٦] وكقوله (صلى الله عليه وسلم) «خير القرون قرني» الحديث. فقد كان الجيل قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة فعلى هذا يكون بين آدم ونوح ألوف من السنين، والله أعلم[٢٧].

- مبعثه

نوح عليه السلام بعثه الله تعالى لما عُبدت الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة، والكفر فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة، وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جرير وغيره.

واختلفوا في مقدار سِنهِ يوم بُعث. فقيل: كان ابن خمسين سنة وقيل: ابن ثلاثمائة وخمسين سنة. وقيل: ابن أربعمائة وثمانين سنة حكاها ابن جرير، وعزا الثالث منها إلى ابن عباس[٢٨]

- ذكر شيء من أخباره

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا)[٢٩] قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَلِبَاسِهِ وَشَأْنِهِ كُلِّهِ...وَقد قَالَ الطَّبَرَانِيّ: -بإسناده الى- عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم يَقُول: " صَامَ نُوحٌ الدَّهْرَ إِلَّا يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، وَصَامَ دَاوُدُ نِصْفَ الدَّهْرِ، وَصَامَ إِبْرَاهِيمُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، صَامَ الدَّهْرَ وَأَفْطَرَ الدَّهْر"[٣٠].

- وفاته

إن القرآن يقتضي أن نوحا مكث في قومه بعد البعثة، وقبل الطوفان ألف سنة إلا خمسين عاما كما قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ }[٣١] ثم الله أعلم كم عاش بعد ذلك، فإن كان ما ذكر عن ابن عباس محفوظا

من أنه بُعث وله أربعمائة وثمانون سنة، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة فيكون قد عاش على هذا ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة[32]()

- قبره

وأما قبره عليه السلام فروى ابن جرير بسنده عن غير واحد من التابعين مرسلا، أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام، وهذا أقوى وأثبت من الذكر الذي يذكره كثير من المتأخرين، من أنه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح(٣٣)، وهناك جامع قد بني بسبب ذلك وأوقفت عليه أوقاف فيما ذكر. والله أعلم بالصواب(٣٤)

المبحث الثالث

منهج الأنبياء الدعوي

المطلب الأول: التوحيد

أرسل الله تعالى الرسل دعاة الى الحق وهداة للخلق, وجعل الفوز والنجاة في اتّباعهم والخسران والهلاك في مخالفتهم والإعراض عنهم: (رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)(٣٥) ومنهج الرسل في الدعوة الى الله جدير أن يُتّبع وأن يقتدى به وقد هداهم الله تعالى واصطفاهم, (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ)(٣٦) ورسل الله جميعاً دعاة إلى دين واحد هو عبادة الله وحده لا شريك له (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ)(٣٧) دين واحد بُعث به الأنبياء جميعاً(٣٨), (شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ)(٣٩) تلك هي دعوة الأنبياء جميعاً وعلى رأسهم اولوا العزم منهم, فالأنبياء الذين يبلغ تعدادهم أربعة وعشرين ألفاً ومائة الف يسيرون في دعوتهم في منهج واحد, وينطلقون من منطلق واحد وهو التوحيد, فهو من اعظم القضايا والمبادئ التي حملوها الى الإنسانية جميعاً في جميع أجيالهم ومختلف بيئاتهم وبلدانهم وأزمانهم, مما يدل أن هذا هو الطريق الوحيد الذي يجب أن يُسلك في دعوة الناس الى الله وسنّة من سننه التي رسمها لأنبيائه وأتباعه الصادقين لا يجوز تبديلها ولا العدول عنها(٤٠).

المطلب الثاني: الايمان بيوم القيامة

إن منهج الأنبياء في الدعوة الى الله لا يُعنى بيومه ويهمل غَدَهُ, او يجعله يعيش لدنياه ويترك آخرته, فإن ذلك لا يتحقق فيه صلاح وإصلاح...ومن عاش لدنياه دون نظر لعاقبة أمره فقد العدل والاعتدال في خاصة نفسه, وآثر الحياة الدنيا الذي يكون عمر الانسان فيها أقصر مرحلة بالنسبة لما بعده, وهو سريع التقضي...والزوال... وما من شأن من شؤون الخلق او مرحلة من مراحل السير إلا ولله فيها أمر, ثم إن الايمان بالآخرة يجعل من عمل اليوم عطاءً باراً للغد يبتغِ الإنسان فيه الدار الآخرة, ولا ينسى نصيبه من الدنيا, فيحظى العمل بالإخلاص والاتقان والإحسان لأن صاحبه يوقن أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠)[٤١], وأن الله جعل لمن آمن وعمل صالحاً جنات الفردوس نزلاً (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧)[٤٢] ...فسعي الآخرة لدنيا الناس – أولاً– إصلاحٌ وإحسان وبرٌّ وعدل بدافعٍ يُصان به عمل الخير من المن والأذى يفعله الإنسان وهو يخشى مقام ربه وينهى النفس عن الهوى... وذلك ما تطلب به الجنة[٤٣].

المبحث الرابع

المنهج الدعوي في سورة نوح

المطلب الأول: الإنذار

أرسل الله تعالى رسوله نوحا (عليه السلام) إلى قومه، لينذرهم ويخوفهم إن أصروا على الكفر بالعذاب المؤلم وهو عذاب النار في الآخرة[٤٤] وقد خاطب نوح (عليه السلام) قومه وهو يدعوهم الى الله تعالى بما عسى أن يثير مشاعرهم نحوه فيُقبلون عليه, ويَقبلون منه ما يدعوهم إليه, لذا خاطبهم بقوله (يا قوم) –وقد نُسب إليهم– (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ) فهو يشعرهم بهذه الكلمة (يا قوم) بأنهم (قومه) فهو منهم, والأصل أن الشخص يريد الخير لقومه, فعلى قومه ان يستمعوا لما يدعوهم إليه ويتأملوا فيه[٤٥] وعُدِل عن أن يقال له: (أنذر الناس) إلى قوله: (أنذر قومك) إلهابا لنفس نوح ليكون شديد الحرص على ما فيه نجاتهم من العذاب، فإن فيهم أبناءه وقرابته وأحبته[٤٦] وقد قال نوح لقومه: إني منذر لكم من عقاب الله ومخوّف لكم، بيّن الإنذار، واضح الإعلام، أبيّن لكم ما فيه نجاتكم، ومضمون هذا الإنذار: { أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ }: أن تعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن تؤدوا حقوقه، وتمتثلوا أوامره، وتجتنبوا ما يوقعكم في عذابه؛ وتطيعوني فيما آمركم به، فإني رسول إليكم من عند الله تبارك

وتعالى[٤٧], ثم وعدهم إنهم إن استجابوا لدعوته وعبدوا الله وحده وتابوا إليه واستغفروه فإن الله سبحانه وتعالى سيسبغ عليهم نعمه في الدنيا وييسر لهم ما يحبونه من منافعها[٤٨], لكنهم اصروا على كفرهم وعنادهم, ورفضوا دعوته, وكلما زاد إقبالاً عليهم ودعوةً لهم وتلطفاً وتحبيباً وتقرباً إليهم زادوا كفراً وعناداً, وازدادوا تكذيباً له وفراراً منه...(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا) أي: كلما دعوتهم الى سبب المغفرة وهو الإيمان بالله تعالى والطاعة له...سدوا آذانهم برؤوس أصابعهم لئلا يسمعوا ما دعوتهم إليه وغطوا بثيابهم وجوههم لئلا يروني, و لئلا يسمعوا كلامي, واستمروا على الكفر وعلى الشرك ولازموه وتكبروا عن قول الحق تكبراً شديداً أي أنهم استنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له[٤٩].

وهذا كان آخر حساب يقدمه نوح (عليه السلام) لربه بعد الجهد الكبير والأمد الطويل في الدعوة الى الله (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا) وقد طلب من ربه أن يفصل في أمر قومه العصاة الكافرين, وأن ينجيه ومن معه من المؤمنين[٥٠].

المطلب الثاني: الصبر في الدعوة

لقد كان جهاد نوح (عليه السلام) وصبره على إيذاء قومه بما لا طاقة لأحد على تحمله ولا قدرة له عليه, فقد كان جهاده جهاد الأبطال, وصبره صبر الجبال, وأُذي وعُذب واضطهد وهو لم يكف عن تبليغ دعوة الله تبارك وتعالى لمدة تقارب الألف عام, ولم يضعف عن ابداء النصح والتذكير ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى, وقد استعمل المشركون معه صنوف الاستهزاء والبلاء ليصدوه عن دعوته فلم يجدوا منه إلا كل صبر وثبات, اتهموه بأنواع الاتهامات, وافتروا عليه أنواع الافتراءات فما زاده ذلك إلا إيماناً وتسليماً, وصبراً وجهاداً, فكان بحق من الأنبياء المقربين ومن اولي العزم الصابرين[٥١]

روى عبدالرزاق[٥٢] في مصنفه عن قتادة بن دعامة[٥٣]...في قوله: {فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا}، قال: بلغني: أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا، لا يغرنك، فإن أبي قد ذهب بي وأنا مثلك، فحذرني كما حذرتك[٥٤], فقد صبر نوح (عليه السلام) على عنادهم ودعوتهم, الف سنة إلا خمسين عاماً يقيمها في قومه يدعوهم الى اتباع الحق في ليلٍ ونهار وهم يسخرون ويستهزئون, غافلين عما يُساقون له و يُستدرجون إليه (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ٩) وها هي السنون تمضي والساعات الفاصلة تأتي, والقوم في ذروة نشوتهم بما يُستدرجون به, وفي

غمرتهم ساهون عما يصيرون إليه إذ يأتي أمر الله إغاثة لنداء واستجابة لدعاء (وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧) فكان نصراً لكلمة الحق... وعبرة للزمن كله تُذكر المؤمنين وتُنذر المكذبين (مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا) تلك هي العاقبة...يتذكر بها من تذكر ويعتبر بها من يعتبر(٥٥).

المطلب الثالث: التنوع في الأساليب

سلك نوح (عليه السلام) في دعوته قومه الى الله تعالى أساليب متعددة آملاً من وراء هذا التعدد أن يستجيب قومه لما يدعوهم إليه, ولكن مع ذلك لم يستجب له إلا القليل من قومه, وهذا يدل على أن أحقية الدعوة, وصحة أسلوب تبليغها لا يكفيان لاستجابة المدعوين وقبولهم بها, بل لابد من قابلية المدعوين الى هذه الاستجابة, ومن أساليب نوح في الدعوة:

اولاً: إظهار شفقته عليهم:

أظهر لهم شفقته عليهم وحرصه على نصحهم وإرادة الخير لهم, ومن مظاهر شفقته عليهم أنه انذرهم من عذاب الله بعد أن رفضوا دعوته, والشفيق يُحذر من يشفق عليه مما يضره ومن أسباب هذا الضرر يقول الله تعالى مخبراً عن نوح: (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢).

ثانياً: الدعوة في الليل والنهار:

كان نوح (عليه السلام) يغتنم كل فرصة ليدعو قومه إلى الله, سواء سُنحت له هذه الفرصة في ليل أو نهار, كما أنه (عليه السلام) كان ينوع صيغ وكيفيات دعوته, فكان يدعوهم جهاراً وسراً وعلانية على أمل أن تنجح معهم هذه الأساليب فيستجيبوا لدعوة نوح (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩)...وهذه المراتب والتنوع في أساليب الدعوة أقصى ما يمكن للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يفعلها لتكون أنجع فيهم.

ثالثاً: الترغيب

رغّبَ نوح قومه في الاستجابة لدعوته بما وعدهم به من مغفرة الله تعالى لذنوبهم ومن إطالة أعمارهم, وفي إطالتها فرصة طيبة لهم ليزدادوا من فعل الخيرات التي تكون سبباً لمغفرة ذنوبهم ... في الآخرة...ثم وعدهم نوح (عليه السلام) أنهم إن استجابوا لدعوته, وعبدوا الله وحده, وتابوا إليه واستغفروه, فإنَّ الله تعالى سيسبغ عليهم نِعمه في الدنيا, وييسر لهم ما يحبونه من منافعها, وهذا من نوح (عليه السلام) تشجيع لقومه على طاعته, وترغيب لهم للاستجابة لدعوته بما وعدهم به من خيرات الدنيا ومتاعها. قال تعالى مخبراً عن نوح (عليه السلام): (فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢)...وهذا أسلوب الدعوة بالترغيب.

رابعاً: الترهيب

ولم يقتصر نوح عليه السلام على أسلوب الترغيب في تبليغ دعوته إلى قومه وحثهم على الاستجابة لها, وإنما أخذ أيضاً بأسلوب الترهيب أي تخويفهم من العذاب في الدنيا والآخرة إن هم عصوه ولم يستجيبوا لدعوته, قال تعالى (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ) قال مقاتل[٥٦]: يعني الغرق بالطوفان, وهذا ترهيب لهم من عصيانه بعذاب الدنيا بالغرق[٥٧] قبل عذاب الآخرة.

المطلب الرابع: التفكر

بعد أن دعا نوح (عليه السلام) قومه ورغبهم ورهبهم جعل يلفت أنظارهم الى التفكر في آيات الله في النفس والآفاق ليهتدوا بها إلى أن الخالق لهذه العوالم كلها, علويها وسفليها, هو المستحق للعبادة وحده, دون ما سواه...(مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤)[٥٨] فهذا تعريض بكفرهم النعمة، ولأن الأطوار دالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته، فإن تطوّر الخلق من طور النطفة إلى طور الجنين إلى طور خروجه طفلا إلى طور الصبا إلى طور بلوغ الأشد إلى طور الشيخوخة وحصول الموت على الحياة وحصول البلى على الأجساد بعد الموت، كل ذلك والذات واحدة، فهو دليل على تمكن الخالق من كيفيات الخلق والتبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدنى التفات للذهن، فكانوا محقوقين بأن يتوصلوا به إلى معرفة عظمة الله[٥٩], ثم انتقل من ذكر دلائل القدرة في النفس الى الحديث على دلائل قدرته سبحانه في السماء, فبين لهم أن الله خلق سبع سموات طباقاً على سبع أرضين بين كل أرض وأرض وسماء وسماء خلق وأمر, فالذي أنبت الإنسان من تراب هو القادر على إعادته, والذي خلق الكون على هذا النحو وسخر الشمس والقمر

هو الذي يجب أن يُعبد, فلا يَخْلقُ هو ويُعبد غيره, ولا يرزق هو ويُشكر سواه فهو المنعم سبحانه (أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ١٩ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ٢٠) جعل لكم الأرض مبسوطة وفيها طرق واسعة وهذه نعم تستوجب الشكر للخالق جل وعلا وتوحيده, لا الكفر والشرك به[٦٠].

المطلب الخامس: الدعاء

وفي نهاية المطاف دعا نوح (عليه السلام) سائلاً ربه أن يطهر الأرض من الكفار, لأنهم موبوؤن بالكفر والضلال فيخشى أن تنتقل العدوى منهم إلى غيرهم كما أنهم – لوباء الكفر الذي بهم – لا يخرج من أصلابهم إلا ذرية موبوءة مثلهم (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ٢٧)[٦١], قال الإمام القرطبي في هذه الآية (دعا عليهم حين يئس من اتباعهم إياه). وقال قتادة: (دعا عليهم بعد أن أوحى الله إليه (أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ)[٦٢]... ثم دعا (عليه السلام) بعد ذلك دعوة تكريم له ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة التي من نتائجها النجاة ساعة وقوع العذاب كما دعا على الظالمين بألا يزيدهم إلا هلاكاً (رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ٢٨)[٦٣]. فقد جعل الدعاء لنفسه ووالديه خاتمة مناجاته فابتدأ بنفسه ثم بأقرب الناس به وهما والداه، ثم عمم أهله وذويه المؤمنين فدخل أولاده وبنوهم المؤمنين والمؤمنات من أزواجهم وعبر عنهم بمن دخل بيته كناية عن سكناهم معه، فالمراد بقوله: دخل بيتي دخول مخصوص وهو الدخول المتكرر الملازم...ثم عمم المؤمنين والمؤمنات، ثم عاد بالدعاء على الكفرة بأن يحرمهم الله النجاح وهو على حد قوله المتقدم ولا تزد الظالمين إلا ضلالا[٦٤], وقد سجل القرآن الكريم هذا اللجوء والاستنصار من نوح (عليه السلام) لربه يتلى الى قيام الساعة.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أحمد الله سبحانه وتعالى على أن تفضل علي وأعانني على إتمامه كما أسأله سبحانه أن يتقبله مني ويتجاوز عما فيه من خلل بدون قصد والكمال غاية لا تدرك بل هو لله وحده الذي له الحمد في الأولى والآخرة, كما أني توصلت في هذا البحث المتواضع الى نتائج عديدة أهمها:

- اشتمال سورة نوح على أصول الدعوة الى الله وأوضحت أفضل الأساليب في الدعوة إلى دين الله وأحسنها , لذلك تعتبر هي مَعْلماً بارزاً للعاملين في حقل الدعوة تنير لهم الطريق.
- إن سورة نوح تتحدث عن تجربه دعوية رائدة استغرقت حياة نبي من اولي العزم من الرسل, وهذا أسلوب تربوي يحمل في جوانبه العبر والعظات المفيدة للدعاة عبر العصور.
- الدعوة الى الله وافراد الله بالتوحيد والعبادة هي الأساس الأول التي تقوم عليه جميع الدعوات ابتداءً من أبو الأنبياء نوح (عليه السلام) وانتهاءً بخاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن سلك مسلكهم من بعدهم الى قيام الساعة.
- التضرع والدعاء الى الله من أخلاق الانبياء والمرسلين وهو زاد للدعاة, يغير الله به من حال الى حال إذا صلحت النفوس وصدقت بالقول والعمل.

وأخيراً هذا ما على الورق سطرته, وبين انظاركم بسطته, ولسان حالي يقول: (جئتكم ببضاعة مزجاة فأوفوا لي الكيل وتصدقوا علي إن الله يحب المتصدقين)

وصل الله على خير رسله محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

---

(١) سورة الاسراء ٧٠.

(٢) سورة النساء ١٦٥.

(٣) سورة هود ٣٧.

(٤) سورة هود ٤٠.

(٥) لسان العرب, لابن منظور, ج٢, ص٣٨٣.

(٦) سورة المائدة ٤٧

(٧) المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى, وآخرون, مادة (نهج) ج٢, ص٩٥٧.

(٨) مناهج الدعوة وأساليبها, علي جريشة, ص١٦.

(٩) انظر: مناهج البحث العلمي, عبدالرحمن بدوي, ص٥.

(١٠) انظر: المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى وأخرون, ج١, ص٢٨٦.

(١١) أساس البلاغة, للزمخشري, ج١, ص٢٨٨.

(١٢) هداية المرشدين, لعلي محفوظ, ص١٧.

(١٣) جامع البيان للطبري, ج١٥, ص٥٣.

(١٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية, ج١٥, ص١٥٧-١٥٨.

[١٥]() انظر: لسان العرب؛ لابن منظور، باب الواو والياء، فصل الدال: ج١٤, ص٢٥٩. وانظر: معجم مقاييس في اللغة لابن فارس، كتاب الدال، باب الدال والعين: ص: ٣٥٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، باب الدال مع العين، مادة: (دعا): ج٢, ص١٢٠ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، باب الواو والياء، فصل الدال، ص: ١٦٥٥، والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، مادة: (الداعي): ج١, ص٢٨٧.

[١٦]() سورة الاحقاف ٣١.

[١٧]() سورة الأحزاب ٤٥-٤٦.

[١٨]() رواه مسلم برقم (٢٦٧٤).

[١٩]() سورة يوسف ١٠٨.

[٢٠]() انظر: تفسير ابن كثير, ج٣. ص٤٧٧.

[٢١]() المدخل الى علم الدعوة, محمد البيانوني, ص٤٠.

[٢٢]() المنهج الدعوي في تعامل النبي (صلى الله عليه وسلم) مع المنافقين, هيلة بنت عبيد الجدعاني, بحث ماجستير, ص١٣٣.

([٢٣]) انظر: صفوة التفاسير, محمد علي الصابوني, ج٣, ص١٣٩٥.

[٢٤]() البداية والنهاية, لابن كثير, ج١, ص١٠٥.

[٢٥]() سورة الإسراء ١٧.

[٢٦]() سورة المؤمنون ٣١.

[٢٧]()انظر: تاريخ الطبري, محمد بن جرير الطبري, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف, مصر, ط٢, ج١, ص١٧٤. انظر: البداية والنهاية, لابن كثير, ج١, ص١٠٥

[٢٨]() البداية والنهاية, لابن كثير, ج١, ص١٠٥.

[٢٩]() سورة الاسراء ٣.

[٣٠]() البداية والنهاية, لابن كثير, ج١, ص١٢٢

[٣١]() سورة العنكبوت ١٤.

[32]() البداية والنهاية, لابن كثير, ج١, ص١٢٤

[٣٣]() مدينة تقع في الشام في لبنان تحديدا تبعد عن بيروت قرابة ٥٥ كيلومتر

[٣٤]() المصدر نفسه, ص١٢٤

[٣٥]() سورة النساء ١٦٥.

[٣٦]() سورة الأنعام ٩٠.

[٣٧]() سورة الأنبياء ٢٥.

[٣٨]() منهج الأنبياء في الدعوة الى الله, محمد الراوي, ص٣٢٩.

[٣٩]() سورة الشورى ١٣.

([٤٠]) منهج الأنبياء في الدعوة الى الله فيها الحكمة والعقل, ربيع بن هادي المدخلي, ص٤٣.

[٤١] () سورة الكهف ٣٠.

[٤٢] () سورة الكهف ١٠٧.

[٤٣] () أنظر: منهج الأنبياء في الدعوة الى الله, محمد الراوي ص٣٤٣-٣٥٤.

[٤٤]() التفسير المنير, وهبة الزحيلي, ج٢٩, ص١٣٧.

[٤٥]() المستفاد من قصص الأنبياء, عبدالكريم زيدان, ص١٣١

[٤٦]() التحرير والتنوير, للطاهر ابن عاشور, ج٢٩, ص١٨٧.

([٤٧]) التفسير المنير, وهبة الزحيلي, ج٢٩, ص١٣٦, بتصرف.

[٤٨] () المستفاد من قصص الأنبياء, عبدالكريم زيدان, ص١٣٣

[٤٩] () التفسير الوسيط, وهبة الزحيلي, ج٣, ص٢٧٤٣.

[٥٠] () انظر: شيخ المرسلين (نوح) عليه السلام, السيد محمد أحمد الخياري, ص ٥٦.

[٥١] () شيخ المرسلين (نوح عليه السلام), محمد أحمد الخياري, ص٥٠.

[٥٢] () عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري, الحافظ الكبير, عالم اليمن, أبو بكر الحميري مولاهم, الصنعاني قال أحمد: حدثنا عبد الرزاق: أنه ولد سنة ست وعشرين ومائة وتوفي عبد الرزاق: في شوال، سنة إحدى عشرة ومائتين (أنظر: سير أعلام النبلاء, للذهبي, ج٩, ص٥٧٥-٥٨٠).

([٥٣]) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه, وسدوس: هو ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، من بكر بن وائل, مولده: في سنة ستين, عن ابن علية، قال: توفي قتادة سنة ثماني عشرة ومائة. (أنظر: سير أعلام النبلاء, للذهبي, ج٥, ص٢٦٩-٢٨٣).

[٥٤]() موسوعة التفسير بالمأثور, مركز الدراسات والمعلومات القرآنية, ج٢٢, ص٢٦٠.

[٥٥] () منهج الأنبياء في الدعوة الى الله, محمد الراوي, ص٢٢٥-٢٢٦, بتصرف.

[٥٦] () مقاتل بن سليمان البلخي أبو الحسن -كبير المفسرين- (أنظر سير أعلام النبلاء, للذهبي ج٧, ص٢٠١)

[٥٧] () انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة, عبدالكريم زيدان, ص١٣١-١٣٥.

[٥٨] () انظر: عظات وعبر في قصص الأنبياء, سعيد عبدالعظيم, ص٢٦

[٥٩] () أنظر: التحرير والتنوير, لابن عاشور, ج٢٩,ص٢٠١.

[٦٠] () انظر: عظات وعبر في قصص الأنبياء, سعيد عبدالعظيم, ص٢٧

[٦١] () انظر: خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية, عبدالصمد عبدالله محمد, رسالة دكتوراه, ص١٨.

[٦٢] () انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة, عبدالكريم زيدان, ص١٤٧.

[٦٣] () انظر: خطاب الأنبياء في القرآن الكريم خصائصه التركيبية وصوره البيانية, عبدالصمد عبدالله محمد, رسالة دكتوراه, ص١٨.

[٦٤]) التحرير والتنوير, لابن عاشور, ج٢٩, ص٢١٥.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- أساس البلاغة, أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ), تحقيق: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٥- أصول الدعوة , عبدالكريم زيدان, الطبعة الثالثة, ١٣٩٦هـ, ١٩٧٦م.

٦- أصول الدعوة وطرقها١, مناهج جامعة المدينة العالمية, مرحلة البكالوريوس, بدون سنة طبع.

٧- البداية والنهاية لابن كثير, تحقيق: محمد سامح عمر, الطبعة العشرون, دار ابداع, القاهرة- مصر, ١٤٤٣هـ, ٢٠٢٠م.

٨- تاريخ الطبري, محمد بن جرير الطبري, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار المعارف, مصر, الطبعة الثانية, ١٣٨٧هـ , ١٩٦٧م.

٩- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد», محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ), الدار التونسية للنشر – تونس, ١٩٨٤.

١٠- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن, أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ), تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي, الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

١١- التفسير الوسيط للزحيلي, وهبة بن مصطفى الزحيلي, دار الفكر – دمشق, الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

١٢- خطاب الأنبياء في القرآن الكريم, خصائصه التركيبية وصوره البيانية, عبدالصمد عبدالله محمد, رسالة دكتوراه, المملكة العربية السعودية, جامعة ام القرى, كلية اللغة العربية, قسم الآداب, ١٤١٥هـ, ١٩٩٥م.

١٣- سير أعلام النبلاء, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ), تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط, مؤسسة الرسالة, الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٤- شيخ المرسلين (نوح عليه السلام) اول اولوا العزم من الرسل, السيد محمد أحمد يس الخياري المدني الحسيني, الطبعة الثانية, ١٤٢٣هـ, ٢٠٠٢م.

١٥- صفوة التفاسير, محمد علي الصابوني, المكتبة العصرية, صيدا- بيروت – لبنان, طبعة عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٦- عظات وعبر في قصص الأنبيا, سعيد عبدالعظيم, دار الايمان, الطبعة الأولى, ٢٠٠٢م.

١٧- مجموع الفتاوى, لشيخ الإسلام احمد ابن تيمية, جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي, الطبعة الأولى, ٢٠٠٢م- ١٤٢٣هـ

١٨- المدخل الى علم الدعوة. محمد أبو الفتح البيانوني, طبعة مؤسسة الرسالة, الطبعة الأولى, ٢٠٠٠.

١٩- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة, عبدالكريم زيدان, مؤسسة الرسالة, بيروت – لبنان, الطبعة الأولى, ١٤١٩هـ, ١٩٩٨م.

٢٠- المعجم الوسيط, المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار), دار الدعوة, القاهرة – مصر, الطبعة الأولى, بدون سنة طبع.

٢١- مناهج البحث العلمي, عبدالرحمن بدوي, الطبعة الثالثة, ١٩٧٧, وكالة المطبوعات , شارع فهد السالم, الكويت.

٢٢- مناهج الدعوة وأساليبها , المستشار علي جريشة, دار الوفاء, جدة, الطبعة الأولى, ١٤٠٧هـ

٢٣- منهج الأنبياء في الدعوة الى الله فيه الحكمة والعقل, ربيع بن هادي المدخلي, ١٤١٣هـ.

٢٤- منهج الأنبياء في الدعوة الى الله, محمد الراوي, المكتبة الاكاديمية, القاهرة – مصر, الطبعة الأولى, ٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ.

٢٥- المنهج الدعوي في تعامل النبي (صلى الله عليه وسلم) مع المنافقين, هيلة بنت عبيد عبدالله الجدعاني, بحث ماجستير, كلية الدعوة واصول الدين, جامعة ام القرى, مكة المكرمة, المملكة العربية السعودية.

٢٦- موسوعة التفسير المأثور, إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية, المشرفون: أ.د.مساعد بن سليمان الطيار– د.نوح بن يحيى الشهري, مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي– دار ابن حزم – بيروت, الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ – ٢٠١٧

٢٧- هداية المرشدين الى طرق الوعظ والخطابة, علي محفوظ, دار الاعتصام, الطبعة التاسعة, ١٩٧٩م, ١٣٩٩هـ.